من كونجسبرج الى قدسنبرج

أ.د أحمد عبد الحليم عطية

أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة ورئيس تحرير أوراق فلسفية

تمهيد: القدس على ضوء القمر والبندقية

علينا أن نتوقف عند القدس، التي تمثل مقصدًا أساسيًّا في بحثنا الحالي للتحول من أورشليم إلى القدس، ونبدأ الانتقال من الفلسفة إلى فلسطين ومن كونجسبرج إلى قدسنبرج، ومن هنا يكون الحديث عن القدس تاريخيًّا أو جغرافيًا وأنثربولوجيًّا؛ مسألة غاية في الأهمية تنقلنا إلى القدس فلسفيًّا والقدس مكانيًّا؛ فهي قلب الوجدان العربي ومركز الوهج الديني للأديان السماوية ومقصد الروح، وهو ما ينقلنا إلى انصهار الآفاق، آفاق ثلاثة، إذا وهن أحدها ساندة الآخر، هذه الآفاق الثلاثة **وهي الأفق الحاضر** على ساحة الحرب والقتال والمقاومة، **والأفق المنتظر** أفق السلام والتفاوض والبحث عن حلول سياسية وهما الجناحان اللذان تسعى بهما القضية الفلسطينية للتحليق لتجاوز الحصار والإبادة، والأفق الثالث وهو العقل والوجدان، الفكر والثقافة، **والأفق الثالث صاحب الدور الغائب والمبعد عن أتون الصراع وآن الأوان أن يعود إلى القلب، يغذي**

جناحينا في الصراع. إن تناول القدس اليوم في أتون الصراع، أرضها وأهلها ومنازلها، يتضمن عبق التاريخ وأنفاس البشر، وعتاقة المنازل القديمة، أهل القدس هم المقصد والغاية، سنتحدث عن وضعية القدس الراهنة وماذا أحدث تقسيم القدس من آثار، ووضعية الفلسطينيين فيها، ونشير إلى نظرة الفلاسفة إليها وكيف تعاملوا معها وكيف تهمّنا القدس اليوم وفي المستقبل مقابل أورشليم، وإذا كان البعض يريد التحول عن أثينا إلى أورشليم فنحن نرسم هنا طريقًا إلى فلسطين، وهو نفسه طريق العرب إلى الفلسفة، والحديث عنهما بداية رحلتنا الحالية نحو الحق والعدل والحرية لنا، وعلى أن ننصت إلى شدو جارة القمر، فيروز وهي تضيء شوارع القدس بما يضيء الرؤية ويحدد علامات الطريق.

مريت بالشوارع شوارع القدس العتيقة

قدام الدكاكين البقيت من فلسطين

عم صرخ بالشوارع شوارع القدس العتيقة،

يا صوتي ضلك طاير زوبع بهالضماير،

خبرهن عاللي صاير بلكي بيوعى الضمير

****

لأجلك يا مدينة الصلاة أصلي، لأجلك يا بهية المساكن

يا زهرة المدائن عيوننا إليك ترحل كل يوم

الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان؛

يبكيان

*****

لأجل من تشردوا،

لأجل أطفال بلا منازل

لأجل من دافع واستشهد في المداخل،

واستشهد السلام في وطن السلام

وسقط العدل على المداخل

*****

حين هوت مدينة القدس

تراجع الحب وفي قلوب الدنيا استوطنت الحرب

الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان وإنني أصلي

الغضب الساطع آتٍ.. الغضب الساطع آتٍ

الغضب الساطع آتٍ وأنا كلي إيمان

وتشدو في أغنية ثانية وما زالت الأغاني ممكنة تقول ونقول معها

أنا لا أنساك فلسطين ويشدُّ يشدُّ بيَ البعد

أنا في أطيافك نسرين، أنا زهر الشوق أنا الورد

سندكّ ندكّ الأسوار، نستلهم ذاك الغار

ونعيد إلى الدار الدارا نمحو بالنارِ النار

****

هنا يأتى الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم، والمغني البصير الشيخ إمام عيسى ليكمل

مع اللبنانية، العربية الإنســانية الرائعة، التواصل مع الفلسطينيين وليؤكد شعور أفراد الأمة البســطاء أننا معهم ومنهم مخاطبًا كل فلســطيني، مبشرًا بــأن العودة من الغربة وتحقيق النصر لا يتم إلا بالثورة الدائمة يقول:

يا فلسطينية والبندقاني رماكو، بالصهيونية تقتل حمامك وفي حداكو

يا فلسطينية وأنا بدي أسافر حداكو، ناري في إيديّه وإيديّه تنزل معاكو

على رأس الحية وتموت شريعة هولاكو،

****

يا فلسطينية والغربة طالت كفايه

والصحراء آنت م اللاجئين والضحايا

والأرض جئت للفلاحين والسقايه

والثورة غايه والنصر أول خطاكو

****

يا فلسطينية والثورة هي الأكيدة،

بالبندقية نفرض حياتنا الجديدة

والسكة مهما طالت وباتت بعيده،

مد الخطاوي هوَّه اللي يسعف معاكو

****

والتساؤل كيف تحول العالم من التنوير الأوروبي إلى التدمير الصهيوني، وهل شغل بنقــد العقل النظري ونقد العقل العملي وتغافل عن نقد العقل الاســتيطاني المخرّب،

المدمر، القاتل؟ وهل عليه أن ينشـــغل بالمسألة الفلســـطينية التي لن تموت مثلما شغل وما زال بالمســـألة اليهودية؟ التي خدع بها العالم ومـــا زال، وهل فكرنا نحن في الدفع بمشروع الســـلام من كونجسبرج إلى قدســـنبرج؟ هل يمكن أن تعاون الفلسفة ليس فقط في الإسراع بتقديم المعونات إلى أهل غزة التي نحتاج نحن إلى توصيلها إليهم مثل اجتياح أطفالهم لهما، فقد قاتلوا واستشهدوا دون أن يذوقوا الطعام، وهل ممكن أن تعبر الفلســـفة معبر رفح حتى تفتح عقول العالم على حرية واستقلال فلسطين على أرضها كلها وسكانها جميعًا في عدل وسلام حرية واستقلال فلسطين؛ قضيتنا جميعًا قضية تحرر فلسطين ترتبط بالفلسفة العربية الحية، صار الآن موعد ميلادها وحياتها واستمرارها. والفلســـفة في حاجة إلى فلسطين أكثر من كون فلســـطين في حاجة للفلسفة، حتى يُعاد للأمة عقلها وللعالم العدل وللعرب الكرامة وللفلسطينيين الحياة.

تنقل هذه التساؤلات إلى كانط فيلسوف كونجسبرج صاحب نقد العقل. وإلى كتابه السلام الدائم الذي كتبه في بلدته كونجسبرج، فماذا عن كونجسبرج حتى ننطلق سويًّا منها نحو القدس.

كونجسبرج:

كونجســـبرغ (Königsberg) حاليًـــا كالينينجراد، وهو اســـم تاريخي لمدينة كانت عاصمة لبروســـيا الشرقية في أواخر العصور الوسطى في أوروبا الشرقية، أسست سنة 1255م، واستمرت تحت الحكم التابع للإمبراطورية الألمانية. أثناء غزو بروسيا من قبل فرسان تيوتون في عام 1255، تم تدمير المدينة المســـماة Twangste وتم استبدالها بقلعة جديدة تم تسميتها كونجسبرغ، والذي يعني جبل الملك، وذلك تكريمًا للملك أوتوكار الثاني، الذي قام بتمويل بناء أول قلعة في هذا المكان خلال الحملة الصليبية البروســـية. اســـتخدم الحكم التيوتوني مدينة كونجسبرغ لتحصين هجومهم في شبه جزيرة سامبيا

وكقاعدة لحملاتهم ضد ليتوانيا. وفي سنة 1946م، قامت الحكومة السوفييتية بتغيير تسمية كونجسبرغ إلى كالينينجراد، وذلك بعد قيام الجيش السوفييتي بتدمير كل البنى التحتية وهجرة غالبية الشعب الألماني من مدينة كونجسبرج بشكل نهائي وأزيلت بشكل نهائي وتحولت إلى مدينة روسية.[1]

كالينينجراد كينسجبرج التاريخية مقاطعة روسية وهي بعيدة عن روسيا؛ وتقع في قلب أوروبا، حصّنها بوتين بالنووي لتقويض أمن أوروبا.. لو مشيت في شوارع كالينينجراد (Kaliningrad) وتأملت المباني التاريخية والتحف الهندسية الألمانية القديمة، لن تتمكن من أن تفرق بينها وبين برلين. قبل مدّة، خرجت تلك المدينة من مقبرة الصراعات الأوروبية التاريخية ونهضت لبثّ بذور الشقاق والنزاع، وتحوّلت من مدينة واعدة على المستوى الاقتصادي إلى لغم روسي نووي يهدّد حلف الناتو، لتكون تلك المقاطعة تكملة لمسلسل الرعب الذي عاشه العالم، بعد اندلاع الحرب الأوكرانية وكثرة احتمالات تطورها إلى حرب نووية.[2]

وهي ليست بعيدة عن أوكرانيا، حيث الصراع المشتعل في أوروبا والذي تزامن بعض الوقت مع الصراع المشتعل وحرب الإبادة في غزة، وبين هذين الصراعين، يظهر صراع ثالث في الضمير العالمي، الذي يتضامن مع أوكرانيا ضد روسيا في الوقت الذي يغمض عينيه على ما يحدث في غزة، ليست الحرب الضروس هي العلاقة الوحيدة بينهما، لكن العلاقة أيضًا ما كتبه فيلسوف كونجسبرج كانط عن مشروع السلام

(1) كونجسبرغ
https://ar.wikipedia.org /wiki /%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%BA%D8%B3%D8%A8%D8%B1%D8%BA

(2) وسيم عرابي، نووي بوتين على بعد أمتار من أوروبا.. كالينينغراد لغم روسيا النووي
https://akhbaralaan.shorthandstories.com /Putins-nuclear-weapon-is-meters-away-from-Europe-Kaliningrad-is-Russias-nuclear-mine /index.html

العالمـــى، الذي ظل حتى اليوم نظريًّا يحتمل التحقق، وتحققه حين يدرك العالم أصوات فيروز والشيخ إمام عيسى وضمير شباب العالم وهو يردد «**أنا دمي فلسطيني**».

حدد حاكم مقاطعة كالينينجراد الروســية كونجســبرج البروســية سابقًا، أنطون أليخانوف، مســاهمًا غير متوقع في الحرب في أوكرانيا، وهو الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (1724 – 1804). وهو ما يدهشــنا، تحدث أليخانوف في مؤتمر لعلماء السياســة الروس عن الابن الأكبر لمدينة كونجســبرغ. وقال إن فيلســوف التنوير، الأكثر شهرة صاحــب «نقد العقــل الخالص»؛ «أحد مبدعــي الفكر الغــربي الحديث»، ووصف أليخانوف كلماته، أي كلمات كانط بأنها «اســتفزاز معين» لكنه قال وفقًا لنص خطابه: «أود أن أظهــر أن إيمانويــل كانط، الذي ولد هنا منذ ما يقــرب من 300 عام، له صلة مبــاشرة تقريبًا بالفــوضى العالمية التي نتعامل معها. والأكثر مــن ذلك، أن لديه صلة مباشرة بالصراع العســكري في أوكرانيا»[1]. والحقيقة أن هذا القول يفرض علينا طرح مســألتين، نجيب عليهما في ســياق هذا البحث، الأولى: هل هنــاك علاقة بين كانط والفــوضى العالمية؟ والثانية ما ينتج عن صلته بأوكرانيا، والتســاؤل: هل هناك علاقة بين كانط والصراع الفلســطيني الإسرائيلي؟ وينتج عن السؤال الأهم وهو: لما يتعامل

(1) حاكم مقاطعة روسية: الفيلسوف الألماني كانط ساهم في حرب أوكرانيا
https://aawsat.com /%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85 /%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7 /4850936-%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B7%D8%B9%D8%A9-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%83%D8%A7%D9%86%D8%B7-%D8%B3%D8%A7%D9%87%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7

الغرب مع هذين الصراعين بميزانين مختلفين؟ وقال أليخانوف إن كانط مهّد الطريق للنسبية الأخلاقية، حيث يمكن تبرير كل فعل وكل ظلم في الغرب، وقد يتضح لنا أن النسبية الأخلاقية هي من صنع الغرب نفسه، الذي وجد صورته في مرآة كانط مثلما يمكن أن يجد فيه الفلسطينيون والصهاينة تعبيرًا عن أنفسهم. إن هذا يتناقض مع روسيا «التي تلتزم بالقيم الأخلاقية وهو ما يدعيه الصهاينة أيضًا. هذا ينقلنا قبل التحول لمناقشة علاقة فلسفة كانط بالفلسطينيين واليهود ونحن متجهون إلى قدسنبرج إلى أن نتحدث عن مدينة القدس اليوم.

أولًا: القدس من الإبادة إلى الإعادة.. من التباعد إلى التعايش

منذ استكمال احتلال مدينة القدس قبل أكثر من نصف قرن، إثر حرب حزيران/ يونيو 1967، عملت إسرائيل على تهويد المدينة، وقد استندت في إنجاز ذلك إلى منظومة قانونية وإدارية ترسّخ هذا التوجه السياسي. ومنذ هذا الحين تواجه مدينة القدس والمقدسيون سلسلة من المخاطر التي تهدد وضعها ووضعهم الحالي، ومصيرها ومصيرهم المستقبلي؛ فآلة التهويد تعمل بكل قوّة على خلق وقائع جديدة على الأرض، وفي مقدمتها تقليص الحيّز والحضور الفلسطيني، وحصره في أحياء قليلة منعزلة عن امتداد المدينة.

والهدف من وراء ذلك تحقيق هيمنة وسيطرة، وتوجيه سياسي يومي، في جميع تفاصيل الحياة، وأيضًا خلق تفوّق حضوري يهودي في المدينة. بمعنى آخر، تعمل إسرائيل من أجل تهويد المكان والفضاء المقدسي وأسرلته، بإطلاق تسميات يهودية وعبرانية وإسرائيلية على الأماكن، وطرد متواصل لعائلات عربية من بعض الأحياء، بهدف السيطرة عليها، ونزع هويات مقدسيين، وتقديم خدمات يومية في الحد الأدنى لتزداد الفجوة بين المجتمعَيْن اليهودي والفلسطيني... الخ؛ فالمجتمع اليهودي يتمتع بخيرات الوطن وثرواته، ويستفيد منها، في حين أنّ ما يتلقاه الفلسطيني هو الفتات

الذي يضمن له في الحد الأدنى التنفس يوميًّا.

تشير الدراسات إلى أن علاقات الغالبية المُسيطَر عليها من الأكثرية المسيطِرة، سوف تتزعزع وتتحول إلى صدامات إذا ما وصلت الأقلية إلى نسبة 30 في المئة من الحيز المحدد أو تجاوزت هذه النسبة. وتطالب هذه الأقلية بحقوقها في المشاركة المتساوية والمنصفة لها في الموارد والقرار السياسي. وحاليًّا، تجاوز الفلسطينيون المقدسيون هذه النسبة على مستوى المدينة، خصوصًا في محيط القدس الشرقية وعلى مستوى الوطن القُطري؛ ما يدفعهم إلى المطالبة بحقوقهم في المشاركة في الوطن والمدينة على نحو ندِّيٍّ ومتساوٍ؛ أي تحويل المدينة والوطن من حالة احتلال وسيطرة وتمييز على أساس عنصري إلى وطن ومدينة مشتركة، فيها تنوع يتساوى الجميع فيه، وهو ما يُعرف بحل الدولة الواحدة. هذا الحل يرفضه الإسرائيليون على نحو قاطع على المستوى القُطري والمديني؛ لأسباب ديموغرافية وأسباب متعلقة باقتسام الموارد والرواية والقرار السياسي.

منذ بداية المشروع الصهيوني في فلسطين ودفع الهجرة اليهودية إليها، خصوصًا الهجرة اليهودية المتدينة إلى مدينة القدس، ارتفع عدد اليهود وغير العرب الفلسطينيين فيها من نحو 9 , 33 آلاف في عام 1922 إلى نحو 100 ألف في عام 1946، وارتفعت نسبتهم من 3 , 54 في المئة إلى 3 , 60 في المئة في الفترة نفسها. أوجد هذا الارتباط خطابًا وسلوكًا ديموغرافيَين يعتمدان على أن يكون الميزان الديموغرافي لمصلحة اليهود بموجب تقسيم الحيز إلى وحداتٍ؛ ليُظهروا أنفسهم أنهم غالبية، وأنهم يستحقون حقوقًا في هذا الحيز المديني والإقليمي والقُطري، حتى صيغت قرارات تقسيم فلسطين على أسس وجود غالبية يهودية. وما زال هذا المنطق قائمًا وممارَسًا في مدينة القدس ومحيطها.[1]

(1) أحمد جميل عزم وآخرون، القدس: التطهير العرقي وأساليب المقاومة، تأليف وتحرير آيات حمدان.. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

مدينة القدس، اليوم، منقسمة إلى شـــطرين بواسطة حاجز أمني – جدار – والذي بدأت إسرائيـــل بفكرته ثم بنائه، في العام 2006. وبمجرد اتخـــاذ قرار بناء جدار أمني يقســـم المدينة إلى تجمع فلســـطينيي القدس الشرقية مع فلسطينيين آخرين، وقسم آخر ينضوي فيه الإسرائيليون، تكون إسرائيل قـــد عملت على خلق حدودٍ مرئية واضحة مصمتة، بما يعني تأكيد ترســـيم الحدود المكانية لأراضي العدو خلفها. يعمل مثل هذا الحاجـــز الأمني على حماية الحـــدود بين إسرائيل وما يحيطها من عـــالم يُنظر إليه على أنه تهديد. وفي سياق الفصل هذا، تعمل دراسات الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في معظم الأحيان في ظل نظرية الهيمنة البسيطة، أي، علاقة أولية بين المسيطِرين (الإسرائيليين) والمسيطَر عليهم (الفلســـطينيين)، حيث لا يمكن فهم الانتهاك والمقاومة إلا بوصفهما أجزاء من إجراءات داخلية أو تواصلًا للســـلطة يتم من خلالها تجريد الشخص المعني من الاعتبارات الذاتية، مما يجعل من المستحيل وجود عالم مجتمعي.

وتقترح سيلفانه بيلا Silvaine Bille النظر في واقع الفصل من خلال النظر إلى مدينة

---

https://www.dohainstitute.org/ar/BooksAndJournals/Pages/jerusalem-ethnic-cleansing-and-forms-of-resistance.aspx

SYLVAINE BULLE. A Conflict of Spaces´-or-of Recognition? Co-presence in Divided Jerusalem. POST-OTTOMAN COEXISTENCE: Sharing Space in the Shadow of Conflict. Edited by Rebecca Bryant. (March 2016). Berghahn Books OAPEN Library Edition. Chapter 9. pp.238-257.https://m.ahewar.org/s.asp?aid=770357&r=0

تهدف السياســـة الديموغرافية لإسرائيل: أولًا إلى الحد من الوجود والتكلفة الاجتماعية للفلســـطينيين في القدس الشرقية. يبلغ عدد سكان العاصمة ما يزيد عن 000 , 966 الفاً، منهم 000 , 495 يهودي (65%)، نصفهم يعيشون في القسم الشرقي، و000 , 270 عربي (35%)، معظمهم فلسطينيون يعيشون في القدس الشرقية. وعلاوة على ذلك، يوجد حاليًا 80000 فلســـطيني يتمتعون بوضـــع الإقامة الدائمة في القدس، لكنهم لا يعيشون ضمن الحدود البلدية للعاصمة. تسيطر الإدارة الإسرائيلية حاليًا على الموقف بوضع حدٍّ لإقامة الأشـــخاص المتزوجين الذين يأتي شركاؤهم من الأقاليم لكنهم يعيشون في الخارج. سيلفانة بيلا: الصراع في وعلى القدس: صراع مساحات أم اعتراف بالآخر، ترجمة محمود الصباغ.

القدس وحدودها وأسـوارها، مع بيان القيود الحقيقية التي أوجدها الجدار وحدوده، تعني هذه المقاربة أيضًا في التفاعلات الدقيقة بين السـكان المنقسـمين (الإسرائيليين والفلسـطينيين.. اليهود والعرب) والسبل التي تشـكل بها هذه التفاعلات الروابط بين هذه العوالم الاجتماعية.[1] وتطرح سـؤالاً مهماً حول: هل من الممكن إيجاد نموذج للعدالـة المتوازنة التي تفترض هذه الحالة من الوقائـع، وإمكانية تبادلها في فضاء مجزأ ومتضارب؟ **ألا تقدم الرؤية السياسة للعيش المشترك بديلًا للنظريات والسيناريوهات السياسية المجردة بهدف البحث عن حلٍّ للصراع المكاني والمجتمعي في القدس؟**

وبدلًا من تقديم حجة حول طبيعة السيادة الإسرائيلية في القدس نبين مدى اختلاف التفاعـلات على طول الجدار وكيف تتعايش هـذه التفاعلات مع فكرة وجود الجدار بحد ذاته. وتوفر هذه المواقف طرقًا للتفكير في سياسـات الفصل، وأنماط التفكير التي لا تعمل من خلال رؤية صارمة للسلطة المفروضة على المجتمع.

لقد صار يجب على السـكان أو العمال الفلسـطينيين امتلاك تصاريح عمل خاصة للدخول إلى القدس، وتسـتوجب هذه التصاريح شروطًـا ومعايير مدنية أو عائلية أو أمنية معينة، فضلًا عن تلبيتها للاحتياجـات الاقتصادية لإسرائيل (في حالة العمال). والوصول إلى مدينة القـدس، بوصفها مكان عمل غير ممكن منـذ اكتمال بناء الجدار الأمني، على الرغم من التجارة النشـطة وشبكات العمل والمعرفة الواسعة التي كانت

(1) يخضع كل فلسـطيني يمر إلى منطقة من المناطق الفرعية الفلسـطينية إلى التحقق عن طريق الحاسوب والتحقق من الهوية على أسـاس الملف الشـخصي الذي يتضمن معلومات حول المـكان الذي يعيش فيه الشخص وأصوله العائلية ومستخدمه. وتخضع إدارة هذه الحواجز لسيطرة الجيش الإسرائيلي، وفي بعض الحالات يتم التعاقد من الباطن مع شركات الأمن الخاصة التي لها عقود مع الجيش. لا يُسمح للفلسطينيين الذيـن ينحدرون من الأراضي بالدخول إلى القدس إلا في ظروف اسـتثنائية (المرض أو تصريح خاص). والزيجات وجمع شمل الأسر بين مواطني الأقاليم والقدس نادرة للغاية ويجب أن تندرج تحت معايير محددة (الولادة في القدس، ومعايير الأمن، والأطفال المولودين في القدس).

موجودة في الفترة السابقة.[1]

يوجد نوع آخر من الحراك الفردي يمثل الفلسطينيين؛ الذين يعيشون بالفعل داخل محيط القدس ويختارون العيش في الأحياء اليهودية عند مدخل القدس الشرقية. هنا نجد مثالًا على التعددية التي يتم التعبير عنها بقرار الحفاظ على حياة اجتماعية خارج المجتمع الخاص. **لقد أصبحت قرارات مغادرة الأحياء العربية لمحاولة الاندماج في أحياء مثل بسغات زئيف أو راموت خيارًا يخاطب المخاوف المتعلقة بأسلوب الحياة مثل الرغبة في الارتقاء الاجتماعي الذي يجعل من الممكن أيضًا الاستفادة من المرافق الثقافية والتعليمية والصحية التي لدى اليهود الإسرائيليين، وهي مرافق يُحكم عليها بأنها أفضل من تلك الموجودة في الأحياء العربية.**

في حين غالبًا ما يستخدم مصطلح «التعايش coexistence» في تعابير عامة وتاريخية وحتى دبلوماسية، دون اعتبارات عملية، وتتساءل ريبيكا براينت عما يعنيه التعايش على مستوى التفاعلات اليومية. تتحدث براينت عن ضرورة وجود غموض بنّاء لحدود الانتماء كلغة تسمح للأطراف بالتغلب على القضايا التي كانت موضع خلاف بينهم في بداية الأمر.

لقد كانت القدس، في أوائل القرن العشرين، موطنًا للمقاهي العالمية والتفاعلات بين المثقفين والناشطين العرب واليهود، ومثلت جوًا معيّنًا من ثنائية اللغة تميز «روح» العديد من المدن. إلا أن الحروب اللاحقة، والنزعة القومية، وأحيانًا تدمير الأماكن

(1) يعمل حوالي 25,000 فلسطيني في المستوطنات اليهودية (الإحصائية الإسرائيلية 2011). المستوطنات الإسرائيلية هي فضاءات مكانية عسكرية أو مدنية زرعت في أراضٍ احتلتها إسرائيل خلال حرب حزيران/ يونيو عام 1967 وما بعدها. وتوجد مثل هذه المستوطنات حاليًّا في الضفة الغربية والقدس الشرقية وفي مرتفعات الجولان. ويعيش في 121 مستوطنة معترف بها رسميًّا في الضفة الغربية حوالي 300000 يهودي، وأكثر من 300,000 إسرائيلي يعيشون في مستوطنات القدس الشرقية. ولدى هذه المستوطنات سلطاتها القانونية وقوانينها ولوائحها الخاصة بسبب وضعها خارج الحدود الإقليمية.

العامة، ساهمت جميعها في إزالة هذه الميزة العمرانية الحضرية للمدينة. ومن المفارقات، أن المظهر المادي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني أو الإسرائيلي العربي في المدينة المقسمة يسمح بالنظر في الجوانب الإيجابية للتعايش. حتى داخل المدينة المقسمة، لا يتم تقييد المواطنين في مسار على أساس التقارب المجتمعي؛ حيث نراهم ينسجون مساراتهم ويواجهون، في السياق ذاته، عقباتٍ وفرصًا على حد سواء، فنراهم يتنقلون في مناطق «أجنبية»، ويتعرفون، بالضرورة، على الآخر.

تركز فكرة الوجود المشترك، على التعايش كممارسة بدلًا من كونها مثالية، وتعد فكرة الوجود المشترك مسألة لباقة أكثر من كونها مُثُلًا أو أيديولوجيات، ويفترض أن المواطنين في الفضاء العام يقدمون أنفسهم بمسافة وتحفظ، وثالث العناصر المعيارية للتواجد المشترك يتعلق بالتعددية، التي لا تُفهم هنا على أنها إطار قانوني ولكن كحكم عملي. وتبدأ التعددية بهذا المعنى بتشجيع الحراك وسياسة الاتصال. وتضمن القدرة على الزيارة، كفضيلة أخلاقية واجتماعية، إمكانية اللقاءات بين الأفراد. لا يمحو مثل هذا نوع من الوجود المشترك، الذي لا يزال قائمًا، الحدود، لكنه يحدد أشكال ومساحات التواصل. ويجب أن تُفهم التعددية أيضًا على أنها لحظات تواصل علائقي وحضور بين الناس، تتجاوز عتبة القطيعة. هذه هي التعددية التي يمكن أن نطلق عليها التعددية المضيافة والمنفتحة على الآخر، مع الاعتراف أيضًا بمقاييس السيادة.[1]

يشكل، أصحاب المتاجر والسكان وملاك العقارات في القدس الشرقية (بيت حنينا)، الذين يشاركون بالفعل في الحفاظ على التبادلات، مجتمعًا مشتركًا. وتخلق مثل

(1) يمكن أن نشير هنا إلى تجربة حديثة في الترام، حيث خطط ستون شابًّا إسرائيليًّا لمظاهرة يتحدثون فيها العربية أثناء استخدام وسائل النقل العام من أجل تشجيع الاتصال. على سبيل المثال، هناك حالة الجمعية التي كانت ضد هدم قرية لفتا القديمة الواقعة عند مدخل القدس الغربية. وقد طالبت الجمعية، التي تتألف من نشطاء وكذلك من سكان يهود وعرب، أن تدرج القرية كموقع تراثي عالمي باسم الحفاظ على البيئة.

هذه الممارسات بدورها ظاهرة يمكن حشدها لسياسات أخرى. لقد أظهرت لنا الصور الفردية والإثنوغرافية أشكالًا من التفاعل حتى في أكثر ظروف الانقسام والاستقطاب قسوة. وإذا ما نظرنا إليها، ليس من منظور نموذج مثالي للتعايش بل من خلال ممارسته الفعلية، فسوف نلاحظ قدرة الأفعال الصغيرة لاحترام الآخر – ممارسة الهيمنة أو عدم ممارســة الهيمنة، أو اللباقة، أو الكياسة – على بناء فضاءٍ صالحٍ للعيش، مما يخلق مكانًا للناس، بينما يساعد في نفس الوقت في بناء حياة مشتركة.

ثانيًا: الفلسفة في القدس والقدس في الفلسفة

يذكرنا الفيلســوف الفلســطيني سري نسيبة أن مســتقبل القدس، وبشكل أوسع معالجة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، يعتمد على «أفكار جديدة»، إن مثل هذه المقاربة البراجماتية للتعايش المشترك قد تشكل الأســاس لسياسة تتجاوز المجتمع، وتقوم على الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والمســاواة في الفضاءات. ومثل هذه الرؤية للعدالة لا تقوم على الســيطرة على المؤسسات، بل على التواصل المكاني والاحترام الاجتماعي على نطاق الحي. وليس من المستبعد، أن تجعل السياسة العادية من الممكن إنجاز مدينة أكثر إنصافًا، وهذا يتطلب، بلا شك، زوال العنف حتى تأخذ الديمقراطية مكانها.[1]

(1) بعد سنوات من العمل في سبيل إقامة دولة فلسطينية فاعلة إلى جانب دولة إسرائيل، صار نسيبة بحلول عام 2011 يشــير إلى حل الدولتين على أنه «خيال». في «كتاب ما هي قيمة الدولة الفلســطينية؟» (مطبعة جامعة هارفارد، 2011) دعا إلى «تجربة فكرية» لدولة واحدة تضم فيها إسرائيل جميع الأراضي، وأن يكون الفلسطينيون «مواطنين» يتمتعون «بحقوق مدنية وليست سياسية» يستطيع من خلالها اليهود «إدارة البلاد بينما يمكن للعرب العيش فيها». تم رفض هذا الاقتراح وانتقاده واعتباره «مخادعًا». صار نســيبة يتحدث عن خطوات نحو نسخة ما من حل الدولة الواحدة، كدولة ثنائية قومية مثلًا. مؤلفاته:

– هل يتساوى عود كبريت مع كل فلسفتنا؟ باللغة الفرنسية 2012.

– ما هي قيمة الدولة الفلسطينية؟ منشورات جامعة هارفرد 2011.

– دون أبواق أو طبول: حل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلســطيني. مع مارك هيلر. نيويورك: هيل وانغ، 1991.

– «ولادة الدولة الفلســطينية»، مختارات من مقالات منشورة في جرائد ومجلات بين 1987–1990،

في عام 2002 نشر سري نسيبة ومدير الشاباك السابق عامي أيالون «صوت الشعب»، وهي مبادرة مدنية إسرائيلية فلسطينية تهدف إلى دفع عملية تحقيق السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وكتبا مشروع اتفاق سلام دعا إلى قيام دولة فلسطينية قائمة على حدود عام 1967، ومن أجل حلٍّ وسط بشأن حق العودة للفلسطينيين. تم إطلاق مبادرة صوت الشعب رسميًّا في 25 حزيران/ يونيو 2003. في عام 2002، عيّن ياسر عرفات نسيبة ممثلًا لمنظمة التحرير الفلسطينية في القدس الشرقية، وهو المنصب الذي تقلده بعد وفاة فيصل الحسيني المفاجئة. في عام 2008، قال نسيبة إن البحث عن حل الدولتين صار متعثرًا. ودعا الفلسطينيين إلى بدء نقاش حول فكرة حل الدولة الواحدة.[1]

إنّ صورة أورشليم هي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، مرسومة من خلال نموذج سردي جديد عبّر عن نفسه بشكل عام في صيغة شهيرة اليوم، تقوم على التقابل بين رمزين روحيين جغرافيين، ألا وهما: «**أثينا وأورشليم**». وهي صيغة اصطلاحية جرت تحت أقلام فلاسفة كبار، من حجم ليو شتراوس، وحنا أرندت، وإيمانويل ليفناس. فقد ظهر سنة 1869 كتاب عنوانه «**الثقافة والفوضى**» لكاتب اسمه ماتيو أرنولد، وجعل عنوانًا لأحد فصوله عبارة «Hellinism and Hebraism» (**الهلّينية والعبريّة**)، عقد فيه مقارنة أخلاقية مفصّلة بين المفهومين على أساس التعارض بين مصدرين عميقين للحداثة الأوروبية وللغرب

مكتب المعلومات الفلسطيني، بلجيكا.

– القدس: نقاط الاحتكاك وخارجها، سري نسيبة وموشي موز، Kulwer Law International، 2000 –الوضع النهائي: القدس والعودة، مركز باحث للدراسات، بيروت، لبنان، 10 , 2007.

(1) https://ar.m.wikipedia.org /wiki /%D8%B3%D8%B1%D9%8A_%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A8%D8%A9

عامةً هما: التراث الهلّيني أو اليوناني، مـــن جهة، والتراث العبراني أو الإبراهيمي، من جهة أخرى.[1]

تبدو الدلالة الفلســـفية لاسم أورشليم في النقاشـــات المعاصرة، بوصفها تعود إلى تنشـــيط ثنائيّة رمزيّة قويّة، ألا وهي ثنائيّة ســـقراط من جهة وإبراهيم من جهة أخرى. ولكن مع التأكيد الصريح على أنّ أورشليم إنّما تبقى مسألة غربية أو تهمّ هويّة «الإنسان الغربي» بما هو كذلك، ولا تهمّ «المقدســـيين» التاريخيين، الذين ينتمون إلى القدس انتماءً تاريخيًّا ويعيشون حياتهم مثل بقية شعوب الأرض على أرضهم.[2]

وأفادت مصادر مقدسية بأن عددًا من المستوطنين قد سرقوا ثمار الزيتون من أراضي المقدســـيين في وادي الربابة ببلدة سلوان جنوب المســـجد الأقصى المبارك. ومنذ عدة سنوات يعيق المســـتوطنون وبحراسة من قوات الاحتلال موســـم قطاف الزيتون في وادي الربابة المهددة بمخططات الاحتلال الاستيطانية في سلوان.[3]

---

(1) كما كتب المسكيني إنّ القدس لا يمكن أن تكون من خلال أقوال بولس الرسول ويوحنّا سوى «أورشليم الحاضرة» أو الأرضية، نعني أورشليم هاجر أو أبنائها؛ أمّا أورشليم التي يتحدّث عنها مندلسون أو شيلنغ فهي لا يمكن أن تكون القدس بل أورشليم سارة أو «أورشليم السماوية». وإنّ كلّ دلالات «أورشليم» في النصوص الفلســـفية والأدبية الأوربية الحديثة إلى حدّ أواسط القرن التاسع عشر. وفي هذا الإطار، ظهرت كتب طريفة من قبيل كتاب ليون دوريسون ودافيد برمان «أورشليم الفلاسفة» المنشور سنة 1922، وكتاب ليو شيســـتوف «أثينا وأورشـــليم: محاولة في الفلسفة الدينية» والذي ظهر ســـنة 1938، وخاصة مقالة ليو شتراوس «أورشليم وأثينا: بعض التأمّلات التمهيدية»، والذي ظهر سنة 1967.

(2) فتحى المسكينى، قدس الفلاسفة
https://www.aletihad.ae/article/5719/2018/%D9%82%D9%8F%D8%AF%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A9

(3) نقلاً عن القدس البوصلة 30 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، خرق لصفقة التبادل.. قرار بإعادة اعتقال أسيرة محررة، اللجنة الملكية لشـــؤون القدس، الأمانة العامة، أخبار وواقع القدس، التقرير اليومي، العدد 205، 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2024.

صادقت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الاستيلاء على 64 دونمًا من أراضي قرية أم طوبا. جنوب مدينة القدس المحتلة، وأوضحت محافظة القدس، أن عائلات من بلدة أم طوبا. الواقعة جنوب مدينة القدس المحتلة، تقدمت بالتماس إلى محكمة الاحتلال، لوقف أعمال التسوية بعد أن تبين تسجيل نحو 63 دونمًا من أراضي البلدة باسم «الصندوق القومي اليهودي». ويهدد هذا الإجراء بإخلاء ما يقارب 30 منزلاً مقدسيًا. يعيش فيها 139 مقدسيًّا، مما يضعهم أمام خطر التهجير القسري.

وأشارت المحافظة إلى أن أحد المواطنين اكتشف هذه الإجراءات عندما تقدم بطلب رخصة بناء لدى سلطات الاحتلال. ليُفاجأ بأن الأرض التي ينوي البناء عليها مسجلة باسم «الصندوق القومي اليهودي». وبعد البحث، تبين أن عمليات استيلاء مشابهة شملت عشرات الدونمات من أراضي البلدة.[1]

منْعُ الاحتلال المواطنين من التوجه إلى أداء الصلاة في المسجد الأقصى ترك آثارًا اقتصادية مدمرة على الوضع التجاري في البلدة القديمة. فالمسجد الأقصى رمز ديني وسياحي يحرك العجلة الاقتصادية في البلدة القديمة. وفي ظل استمرار الاحتلال في إجراءاته المشددة تبدو البلدة القديمة خالية من السياح والمتسوقين. الأمر الذي أثقل كاهل التجار ووضعهم في حالة صعبة. (عن الحياة الجديدة 31/ 10/ 2024).

قالت صحيفة هآرتس إن 139 فلسطينيًّا من سكان القدس الشرقية المحتلة يخشون فقدان أراضيهم التي سكنوها طوال عشرات السنوات ويملكون وثائق حيازتها. بعدما فوجئوا بقرار تسجيلها باسم مؤسسة يهودية. وتقدر مساحة الأرض بـ20 دونمًا عاش

(1) عن موقع مدينة القدس 30/ 10/ 2024. ترجمة / محمد غيث الحاج حسين، أكتوبر 18، 2020

فيها سكانها عشرات السنوات وشيّدوا عليها بيوتهم. لكنهم كانوا يجهلون تمامًا وجود إجراء بضرورة تسجيلها. وأكدوا لهآرتس أن لا أحد تواصل معهم ليخطرهم بذلك.

توقفت السلطات الإسرائيلية منذ 1967 عن تسجيل الأراضي في القدس الشرقية المحتلة. وكان من نتائج ذلك أن المعاملات العقارية لم تقيّد إطلاقًا، فضلًا عن أن السلطات لا تحتفظ بسجلات تفصّل هوية ملاك الأرض هناك حسبما ذكرت الصحيفة الإسرائيلية. وكان من نتائج ذلك أن كثيرًا من السكان بنوا بيوتهم على الأرض التي يملكون دون تسجيلها في دائرة الأراضي، لكن سكان أم طوبا، عكسَ كثير من أحياء القدس الشرقية، سُلّمت لهم تراخيص بناء بعد ما دققت البلدية أراضيهم وتأكدت أنهم ملاكها الحقيقيون.

يذكر السكان أنهم يستطيعون حتى استظهار وثائق بريطانية وأردنية تثبت حقهم في الأرض، فضلًا عن فواتير الضرائب التي دأبوا على دفعها لبلدية القدس على مدى عقود.

تلاحظ هآرتس أن أغلب نشاط وزارة العدل خصّص فعلًا لتسجيل «بلوكات» تشمل أراضي يملكها يهود أو يُخطَّط فيها لبناء حي يهودي.

أما التنظيم العقاري لأم طوبا، فطلبته دائرة أخرى في الوزارة لها صلة بمشروع بناء حي يهودي جديد اسمه «نوبي راحيل» يقع على بعد أمتار فقط من بيوت الفلسطينيين في أم طوبا على أرض ملكها يهود في القرن الماضي، وهو واحد من أربعة أحياء يهودية تقع وراء الخط الأخضر، وخُطط لها مسبقًا بالتنسيق بين مسؤول التسجيل العقاري في الوزارة وناشطين يمينيين.[1]

جدير بالذكر أن محكمة العدل الدولية عندما أبدت رأيها القانوني بعدم قانونية

(1) عن وكالة معًا الإخبارية 30/ 10/ 2024. الاحتلال يصادق على الاستيلاء على 64 دونماً من أراضي أم طوبا.

الوجود الإسرائيــلي في الضفة الغربية في يوليو/ تموز الماضي، أشــارت في حكمها إلى إجراءات تسجيل الأراضي في القدس الشرقية.

وقالت إن هدفها توســيع المستوطنات على حساب أراضٍ أخرى في الشطر المحتل من المدينة، بما يضع ضغطًا على الفلسطينيين هناك، ويضطرهم إلى المغادرة.

ثالثًا: أفلاطون في فلسطين

ليس من المعتاد أن نبدأ تحليلًا فلسفيًّا حول القدس وحول القضية الأكثر راهنية في العالم اليوم، قضية تحرير فلســطين وعودة أهلها على كامل أراضيها المغتصبة، بالعودة إلى أفلاطون. لكننا في هذا الســياق اخترنا طريق أثينــا للوصول إلى القدس ونبدأ من رحلتنا مع الفلســفة وفلســطين، ومن أفلاطون ننتقل إلى كانط ومنه لفلاسفة العصر، هذا ما فعله كارلوس فرانكل Carlos fraenkel أســتاذ الفلســفة اليهودي في الجامعة العبرية وجامعة مونتريال فيما كتــــبه تحــــت عنوان «**مع أفلاطون في فلســــطين** Mit Platon in Palästina **عن فائدة الفلســفة في عالم ممزق**» حيث يستعيد قول سقراط «إن حياة تخلو من امتحان النفس لا تســتحق أن تُعــاش». ما هى الحياة؟ وما امتحان النفس وكيفية اســتحقاق الحياة؟ حين يطرح فرانكل مثل هذه الأسئلة، لكنه يندهش من أن مثل هذا التصور للحياة؛ الذي يقدمه ســقراط يبدو غريبًا لطلابه الفلسطينيين، كما يبدو غريبًا لطلابه في مونتريال. ولكي يوضح ما الذي يعنيه سقراط «بحياة ممتحنة» ولماذا ينطوي ذلك على أهمية «يحكي لنا كيف اتجهت إحدى قريباته إلى الفلسفة. الفتاة التي يحكي قصتها؛ فتاة يهودية والداها يعملان طوال الوقت، ترعاها ســيدة فلسطينية تعلمت منها العربيــة وأجادتها وصارت طفولتها في كنف العائلة الفلســطينية، تلك العبارة البسيطة تحمل معنى أكبر.

كما جاء في بقيــة سرده، جاء الوقت؛ الذي عايشــت فيه تلك الفتــاة الصراع بين

الإسرائيليين والفلسطينيين من خلال وجهتي نظر متضادتين متصارعتين؛ فهناك من جانب الحياة المذلة للعرب في إسرائيل، ومن جانب آخر هناك الألم والغضب لكونها - أي الفتاة - فقدت إحدى عمّاتها في [الباص] في عملية انتحارية قام بها فلسطيني. ولكونها نشأت في سرديتين متناقضتين، قادها ذلك إلى نوع من التشويش، الأمر الذي أدى بدوره إلى الرغبة في معرفة ما الصواب وما الخطأ. ومن هنا اتجهت إلى دراسة الفلسفة. وهنا السؤال الأساسي الذي يطرحه فرانكل في كتابه والذي نعيد طرحه في عملنا الخاص وفي سياقنا العربي حول الفلسفة وفلسطين وكيف تضيء الفلسفة أبعاد هذا الصراع، وهل يمكن أن يكون الفكر حقنًا للدم الفلسطيني النازف دومًا.[1]

وإذا ما تساءلنا عن: لماذا يعود الأستاذ اليهودي؛ الذي يدرس الفلسفة في الجامعة العبرية إلى أفلاطون؟ ولماذا يناقش الصراع الدامي من خلال الحوار السقراطي؟ فإننا نجد الإجابة في أول سطرين مما كتبه عن «**فائدة الفلسفة في عالم ممزق**»، فهل يمكن أن يكون للفلسفة دور في أشلاء عالمنا الذي لا نحياه لكونه ممزقًا. فعلى الرغم من أن ظروف حياة تأملية غير ممكنة في فلسطين، إلا أن ما يشغله هو إن كان من الممكن لمفاهيم مثل: العدالة؛ القانون؛ السلطة وغيرها يمكن أن تقود إلى حل الصراع الذي لا ينتهي والذي يطول جميع مناحي الحياة.

يأمل فرانكل في تجاوز الأحكام المسبقة والتغلب عليها، من أجل ذلك يجب

(1) كارلوس فرانكل: مع أفلاطون في فلسطين: فائدة الفلسفة في عالم ممزق. ترجمة/ محمد غيث الحاج حسين، أكتوبر 18، 2020.
https://www.palestineforum.net/%d9%85%d8%b9-%d8%a3%d9%81%d9%84%d8%a7%d8%b7%d9%88%d9%86-%d9%81%d9%8a-%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86-%d8%b9%d9%86-%d9%81%d8%a7%d8%a6%d8%af%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%84%d8%b3%d9%81%d8%a9-d9%81/

الاستعانة بالنهج السقراطي، الذي يتم من خلاله أثناء اللقاء الشخصي عملية التشكيك في الأحكام المسبقة، وقبل أن نواصل طرح تساؤلاتنا، نذكر تقديمًا قريبًا من هذا الموقف تؤكده سارة إيما ديكر Sarah Emma Decker في مقدمة أطروحتها التي توضح العدالة والحق في القضية الفلسطينية تحت عنوان «**العثور على فلسطين؛ العثور على أنفسنا: فلسفة الاحتلال والسرد والسلام**». إن هدفها كما تحدده هو المساعدة في تقليل عدد وقوة الصور النمطية الخطيرة للمساعدة في تعزيز التواصل الحقيقي عبر الاختلافات، خاصة في سياق الشرق الأوسط ووجهات النظر الغربية تجاه المنطقة.[1]

يمكن أن نستشعر إيجابية ما كتبه كارلوس فرانكل في عدد من الأفكار؛ التي أشار إليها ونستنتج منها بعض الإشارات؛ في مقدمتها استدعاء أفلاطون إلى القدس وحضوره في فلسطين، حيث يوضح ضرورة دور الفلسفة؛ الذي لا نزال ننتظره حول المسألة الفلسطينية. وترجع أهمية هذا الاستدعاء، إلى التأكيد على المعايير التي يقدمها أفلاطون، وفي مقدمتها قيم العدل والحوار.[2]

إن الإشارة إلى الموقف الأفلاطوني والحوار السقراطي؛ الذي يؤكد ضرورة الفلسفة في عالم ممزق، يقتضي التوقف عند بعض المواقف الداعية إلى الحرية والحوار. والحقيقة إن تحليل مثل هذه المواقف لا يساعد على تعميق الفهم للمسألة الفلسطينية فقط، بل يساعد أيضًا على تحررنا من التبعية لهيمنة الفلسفة الغربية ويمهد الطريق لتأسيس فلسفة مغايرة تتجاوز مما ظللنا ندور في أسره من قضايا.

أوحت كونجسبرج بلدة الحرب في أوكرانيا لمجلّة «فلسفة» في نسختها الفرنسيّة (العدد 158 – أبريل/ نيسان 2022) بتخيُّل حوار بين ثلاثة من فلاسفة ألمانيا الكبار:

(1) نفس المرجع.

(2) الموضع السابق.

كانط وهيجل ونيتشــه. وقد اختارت المجلّة أن يدور الحــوار في مقهى مُعتم في مدينة كانط، والتي أقام فيها، وكَتَبَ أعماله الفلسفيّة التي لا تزال تُثير جدلًا إلى يومنا هذا.

يسأل هيجل: هل سمعتم ما قاله زيلينسكي؟ لقيَ أمس ستّة عشر طفلًا حتفهم مع ذلك يتواصل القصف الجوّي على المُدن الأوكرانيّة. والسكّان الذين لجؤوا إلى محطّات الميترو تحت الأرض، يعانون من نقصٍ فادح في الموادّ الغذائيّة.

يرد كانط: فــما بالك والجماعات الإرهابية المنظمة التي نشــطت في العام 1948 قد تحولت إلى دولة إرهابية منظمة تستقطب العالم كله، وهذا ما يؤكده هيجل، لكنّ الأمر مُختلف الآن؛ فنحن نرى أرتالًا من الدبابات ونعيش عمليات قصف متواصلة.

نيتشه: هل تعلمون السبب الذي يمنعنا من خَوض الحرب على الأرض في أوكرانيا؟ لأنّ الــروسَ والأوكرانيّين، هُم وحدهم القادرون على ذلك، لأنّ الحرب في دَمهم وفي تقاليدهم. وهُم لم ينســوا الانفعالات الأرســتقراطيّة. أمّا نحن فأقــزامٌ ديمقراطيّون نخشى ارتفاع ثمن الغاز وسعر الطبق الذي سنعدّه للغداء أو للعشاء.

كانط: أمّا أنا فما زلتُ أعتقد أنّ هذه الحرب ليست سوى لحظة، ومرحلة من العنف ومن المجازر الفظيعة. وهي مجــرّد مُعْتَرَضة. وهي، أي هذه الحرب، دَورة من دَورات العنف التــي انفتحت. لكنّها ســتنتهي. وعلينا عندئذ أن نغلــق الهلالَيْن، وأن ندفن الأموات، وأن نُعالِج الجرحى، وأن نُعيد بناء أوكرانيا، وأنا أضيف وغزة والضفة وكل فلسطين. وسوف تظلّ هذه الحلقات الرّاهنة مجرّد ذكرى للبربريّة، وحدثًا شاذًّا في مَسار التاريخ.[1]

قد نميل بعض الوقت إلى رأي كانط المتخيل هذا، لكن ربما يكون نيتشــه أقرب إلى

(1) حرب أوكرانيا في مرآة كانط.. هيغل ونيتشــه ترجمة: حسّــونة المصباحي 4 كانون الثاني/ يناير 2023 دكالة TV أفق.https://doukkala.tv /?p=160400

الواقع، فهو يرى أنّ هذا النّزاع ســوف يطول، وســوف يتعفن، وأنّ الروس لن يكون بإمكانهم الســيطرة على أوكرانيا. والصهاينة لن تكــون لهم هذه الأحلام من النهر إلى البحر؛ أيًّا كان هــؤلاء الصهاينة ومهما كانت أحلامهــم، فالغربة مهما طالت وكانت بعيدة فالعودة هي الأكيدة.